الحلقة (٢٤)

أساس اعتمادنا في الشرح على كلام الماتن الطحاوي رحمه الله وقوله: "**والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} وتفسيره على ما أراده الله وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال، ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وردّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه**".

هذه العقيدة التي لا يقبل الله سواها، العقيدة الصحيحة النقية الصافية التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم خالف فيها الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج و الإمامية، ومخالفتهم وقولهم باطلٌ مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت رؤية الباري جلّ وعلا الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، لا إمامة الرافضة،

{وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا }، ، وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنة والجماعة أو القريبين إلى أهل السنة والجماعة.

هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين، نحن قلنا إنّ مسألة الكلام هي من أعظم المسائل وهي من كبريات المسائل التي خالفوا فيها، هذه المسألة هي من أشرف مسائل أصول الدين وأجلّها، من حيث أنّ رؤية الله سبحانه وتعالى غايةٌ شمّر إليها المشمّرون، وتنافس فيها المتنافسون، وحُرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}.

❖ الدليل الأول على إثبات الرؤية:

والطحاوي رحمه الله أورد دليلاً كما في سورة القيامة {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**} هذا الدليل يعتبر **من أظهر الأدلة على ثبوت رؤية الباري جلّ وعلا**، ومن أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلاً، يحرّف هذا الدليل وهذه الآية، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطلٌ أن يتأول النصوص ويُحرّفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص، يعني: من يريد الضلال لن يقف أحد في طريقه فيأول ما شاء من النصوص، فيأول الجنة ويأول النار ويأول كل أمور المعاد بما في ذلك الرؤية، فإنّه سيتعرض لهذا الدليل الذي هو من أظهر أدلة الرؤية {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} سيتعرض له بالتأويل حتى يغيّر دلالته على ما يوافق هواه.

هذا التأويل هو الذي أفسد الدنيا والدين، حتى في أمور الدنيا إذا دخل هذا التأويل الفاسد المحرّم فإنه يفسد أمور الدنيا، فكثير من الناس يستحلُّ المحرّمات متأولاً، وينتهك حرمات الله سبحانه وتعالى بالشبه التي لا ترتقي إلا أن تجعل هذه المسألة خلافاً، فتجده مثلاً يبحث عن الرخص، لذلك قال كثيرٌ من أهل العلم: "من تتبع الرخص تزندق"، اليهود والنصارى هكذا فعلوا في نصوص التوراة والإنجيل،

وحذرنا الله أن نفعل مثلهم وأبى المبطلون إلا سبيلاً، إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية.

• فعثمان رضي الله عنه، الخليفة الراشد الثالث، قتل بالتأويل الفاسد.

• التأويل الفاسد هو الذي أوقع معركة الجمل بين عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين وبين الخليفة الرابع الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقعت بينهم معركة الجمل، ما وقعت إلا بالتأويل الفاسد.

• معركة صفين وقعت بين خليفة راشد وبين كاتب من كتاب الوحي وبين صحابة أجلاء، وهي فتنةٌ عظيمة.

• مقتل الحسين رضي الله عنه وخروجه إلى العراق وقتله في كربلاء، هذا من التأويل الفاسد، وعندما غدر به اتباعه ومناصروه إذ أخرجوه ثم قتلوه.

• التأويل الفاسد هو الذي أوصلنا إلى وقعة الحرّة.

• وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ورفضت الروافض وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة إلا بالتأويل الفاسد؟!

•التأويل الفاسد مثل السرطان، إذا دخل إلى أي جسمٍ فإنه يهلكه ويفسده، فإذا دخل إلى مسألة فإنه يفسد عقيدة من يدخل به ويعمل به.

إضافة النظر إلى الوجه في الآية يقول الله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} في بداية الآية "**وجوه**" إضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بـ "**إلى**" الصريحة في نظر العين، وإخلاءُ الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه صريحٌ في أنّ الله أراد بذلك نظر العين، التي في الوجه، إلى الرب جلّ جلاله.

إذن هذا الدليل وهذه الآية: صريحةٌ في إثبات رؤية الباري جلّ وعلا، فإنّ النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه، وهذا مضى في الحلقة الماضية لكن نعيده فإن في الإعادة إفادة.

■ **النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه:**

١- فإن عُدّي بنفسه فمعناهُ: التوقف والانتظار {انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ} انظرونا، هل معناها: شاهدونا وانظرونا بالعين الباصرة؟ لا: انظرونا: أي انتظرونا، توقفوا وانتظرونا.

٢- إن عُدّي النظر بـ "في" فمعناه: التفكر والاعتبار {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.

٣- النظر إن عُدّي بـ "إلى" فإنّ معناه يكون: المعاينة بالأبصار، مثل قوله تعالى {انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ}

فكيف إذا أضيف إلى الوجه؟ يقول الله سبحانه وتعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }إذن ذكر قرينة الوجه وعُدّي بـ "إلى" والنظر إذا عُدّي بـ "إلى" فإنّ معناه المعاينة بالأبصار.

وقد روى ابن مردويه بسنده إلى ابن عمر أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ } قال: (من البهاء والحسن)، (ناضرة) بالضاد وليست بالظاء، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }قال: (في وجه الله عز وجل)، كما ذكرت في الحلقة الماضية، **هذا إسناده ضعيف**.

عن الحسن قال: نظرت إلى ربها فنُضّرت بنوره.

يقول أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل.

وقال عكرمة {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ }قال: من النعيم، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } قال: تنظر إلى ربها نظراً ثم حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله، وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

❖ الدليل الثاني على إثبات الرؤية:

قال تعالى **{**لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**}**،يقول الطبري: قال علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك رضي الله عنهما: "هو النظر إلى وجه الله عز وجل"، يعني تفسير المزيد بأنه: النظر إلى الله سبحانه وتعالى، إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى.

❖ الدليل الثالث على إثبات الرؤية:

يقول الله سبحانه وتعالى **{**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**}** فالحسنى الجنة، والزيادة هو: النظر إلى وجهه سبحانه الكريم، فسّرها بذلك محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده، كما روى مسلمٌ في صحيحة عن صهيب أنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم **{**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**}** قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ يا أهل الجنة إنّ لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيّض وجوهنا، ويدخلنا الجنّة، ويجرنا من النار؟! فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه وهي "الزيادة")، نسأل الله الكريم أن نكون ووالدينا وجميع المسلمين ممّن ينظر إلى وجه الباري جلّ وعلا، وأن يدرك هذا النعيم العظيم، وأن لا يحرمنا ذلك بتفريطنا وذنوبنا وتقصيرنا وإسرافنا على أنفسنا بالذنوب والمعاصي، إنّه جوادٌ برٌّ رحيم.

هذا الحديث، حديث صهيب رواه غير مسلم بأسانيد متعددة وألفاظ أخر، معناها: أنّ الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل، كذلك فسّرها الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين.

روى ابن جرير عن جماعة، منهم أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى، وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين، روى عنهم أنهم فسروها كلهم بأنها النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى.

❖ الدليل الرابع على إثبات الرؤية

يقول الله سبحانه وتعالى **{**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} احتج الشافعي محمد بن إدريس رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني

صاحب الشافعي عن الشافعي قال: وقال الحاكم حدثنا الأصم قال: حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرتُ محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها -أي في هذه الرقعة- ما تقول في قول الله عز وجل {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}؟ فقال الشافعي: لمّا أن حُجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا" فهنا مفهوم مخالفة.

استدلالات المعتزلة قاتلهم الله، -فما أعظم الضرر الذي أحدثوه في عقيدة الأمة الصافية-:

المعتزلة **استدلوا** بقوله تعالى في قصة موسى عندما قال موسى كما حكى ذلك الله سبحانه وتعالى: : **{قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}**، قول الله سبحانه وتعالى: **{لَنْ تَرَانِي}**، واقتطعوا هذا الجزء من الآية واستدلوا به.

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى **{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}**، فالآيتان عندهم دليل على نفي الرؤية.

والحق أنهم أتوا بأدلةٍ هي في الحقيقة عليهم لا لهم، ففي الآيتان **دليل على إثبات الرؤية:**

- **أما الآية الأولى:** فهي قوله تعالى{ قَالَ لَنْ تَرَانِي} فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه:

▪**الوجه الأول**: أنه لا يُظنّ بكليم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم موسى وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال، هل يجوز أن يسأل موسى شيئاً لا يجوز له، فيغضب ربه عز وجل؟ وإنما سأل أمراً جائزاً، إذن في هذا الوجه الأول: أنّ في الآية جواز الرؤية- نتدرج- الآن في هذا جواز الرؤية.

▪ **الوجه الثاني:** أن الله لم ينكر على موسى سؤاله، **{قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ** } لم ينكر عليه سؤاله ولمّا سأل نوح عليه السلام نجاة ابنه أنكر عليه قال {إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}، وهنا في حق موسى لم ينكر الله عليه سبحانه وتعالى،هذا الوجه الثاني.

▪ **الوجه الثالث**: أنه تعالى قال **{لَنْ تَرَانِي}**، ولم يقل إني لا أُرى، ولا تجوز رؤيتي،أو لستُ بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمّه حجرٌ فظنهُ رجلٌ طعاماً، فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح: إنه لا يؤكل، أما إذا كان طعاماً صحّ أن يقال: إنك لن تأكله، أما إن كان حجراً فإنه يقول: لا يؤكل، فالله سبحانه وتعالى قال: لا أُرى أم قال: لن تراني؟ فقال **{لَنْ تَرَانِي}**، دليل على جواز الرؤية في مكان آخر أو في وضع آخر، لكن في حق موسى أخبره الله سبحانه وتعالى بعدم إمكانية ذلك، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، لكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤية الله سبحانه وتعالى في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤية الله سبحانه وتعالى يوضّح ذلك الوجه الرابع.

▪ **الوجه الرابع**: قوله تعالى في سياق الآية {وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خُلق من ضعف؟

▪ **الوجه الخامس:** أن الله سبحانه قادرٌ على أن يجعل الجبل مستقراً وذلك ممكن، وقد علّق به الرؤية،

ولو كان مُحالاً لكان نظير أن يقول: إن استقرّ الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

▪ الوجه السادس: قوله تعالى {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا}فإذا جاز أن يتجلى الباري جلّ للجبل الذي هو جمادٌ لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته؟! ولكنّ الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فإن البشر أضعف.

هذا قرآن، ما نزل إلا من عند الحكيم العزيز سبحانه وتعالى الحكيم الخبير، لا يجوز أن يُقتطع لفظ منه ويُستدل به، لا يجوز أن يقتطع كلمة منه، كمن يستدل بـ{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّين} لا يجوز الاستدلال بذلك، كما فعل المعتزلة الآن يستدلون {قَالَ رَبِّ أَرِنِي}طيب قبل الآية، أكمل الآية إلى آخرها، وينتفي استدلالهم الباطل.

الوجه السابع: أن الله كلّم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم -صفة من صفات الله- تكلم الله مع موسى وأن يسمع مخاطبته وكلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، ذلكم أن المعتزلة أنكروا الرؤية وأنكروا الكلام وقد جمعوا بين ذلك.

وأما دعواهم تأبيد النفي بـ(لن) وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد.

أتوقف عند الوجه السابع على أن أكمل في الحلقة القادمة إن شاء الله، لكن لعلي أبين أمر وهو أن استدلال المعتزلة بقوله {قَالَ رَبِّ أَرِنِي}وقوله {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَار}، هو بترٌ للآيات، ما الذي حملهم على إنكار الرؤية؟ الذي حملهم على إنكار الرؤية هو ما حملهم على إنكار صفة الكلام، إلى هنا أتوقف على أن ألقاكم في الحلقة القادمة.